ملف / النخيل.. قضية

شربنا ماء دجلة خير ماء وزرنا اشرف الشجر النخيلا

اعد الملف: صافي الياسري

ابو العلاء المعري

متـــــى تنتهي اوجاع سيدة الشجر العراقيــة؟

لماذا تلوي النخلة راسها؟

٢٥ مليون نخلة ضحايا مجازر النظام المباد خلال عقدين من الزمن

من يبيع التمر لأهل البصرة؟

تهريب النخيل لا يقل اهمية عن تهريب الاثار العراقية

العراق من اول دولة في انتاج وتصدير التمور الى دولة مستوردة لها

هل يعني الاقتصاد الحر ان نترك المزارعين وحدهم في مواجهة امراض النخيل؟

مؤلم حد البكاء، واقع سيدة الشجر العراقية، النخلة الباهية الباهرة السامقة الظليلة اللينة الخضراء الواهبة المعطاء، المشبعة المداوية الـ..تلك الترنيمة الاصيلة اليفة بساتين دجلة والفرات وشط العرب وواحات بيد العراق، الحمامة التي ذبحت ملايين المرات على أيدي الحروب البعثية وحملات الجند القمعية فجرفت تربتها وجفف ماؤها وردمت سواقيها وتحولت رقعها الخضراء الى مساحات للقتل ترقشها حفر الثقيل والاخرس والصواريخ التي تفجرت والتي لم تنفجر؟ فصارت جذوعها اشباحاً ترعب المار ليلاقي بساتين كانت هي فردايس الله على الارض، هذا ان ظلت واقفة فقد طرحت على الارض واستخدمت قناطر لعبور الدبابات والاليات العسكرية، وادرج في كتاب السيدة النخلة ان ٢٥ مليون صخبة قتلت خلال عقدين فقط من عمر النظام المباد، حتى استوردت البصرة التمر من ايران والامارات والسعودية، وكان يقال في المثل هل تبيع التمر لأهل البصرة يا رجل؟

ولا ادري الذي سيقوله ضارب المثل هذا لو رأى حال البصرة ونخيلها اليوم؟

ونحن في هذا التقرير نتصفح اوراق السيدة النخلة، ونؤشر الابواب ومفاتيحها ونذكر الاوجاع وبعض علاجاتها، ونترك للدارسين المتخصصين اكاديمياً الغور في اعماق التفاصيل والمعلومات العلمية الاكاديمية فانما نحن نمارس ونؤدي واجبنا ومهمتنا في خلق وتوجيه الرأي العام واطلاعه على الحقائق وتبصيره بها وان بشكل مبسط، فعسى ان نوفق.

هَجَرْ.. تستورد التمر!

وهجر احدى قرى البحرين التي اشتهرت بانتاج التمور بكميات كبيرة منذ العصور الاولى التي سبقت ظهور الاسلام في الجزيرة وامتداده الى البحرين التي كانت تغذي مدنها بمنتجات هجر، ونحن نستعير هنا اسم هذه القرية، كناية عن العراق بلد التمور الاول في العالم الذي صار يستورد التمر من الامارات والسعودية وايران!

جاءت من جمع كلمة (عرق)- وهي الجذر، ويمكن متابعة خط التحريف والتصحيف اللغوي في الكلمة في تحولات (أوروك) و(ارك) وآراك- وعراق، وهذه الكلمة التسمية اشارة الى كثرة العروق في الأرض العراقية، ويحددون تلك العروق بانها عروق النخيل، الأشجار الاكثر انتشاراً في العراق، وهي معروفة بامتدادات جذورها العميقة المتسعة في المكان.

وقد ورد ذكر النخلة في قوانين حمورابي التي دونت على مسلته الشهيرة، وقد عاقبت بعض المواد المدرجة في تلك القوانين من يقطع النخلة، أو من تسبب في موتها ومن لم يقم بتلقيحها ورعايتها.

وهذه الشجرة التي يمكن عدها رمزاً وشعاراً للعراق، تنتشر جذورها في اعماق الأرض الى أبعد من عشرة امتار عمقاً والى مساحة ١٦٠ متر مربعاً، وهي الشجرة الوحيدة التي تتنفس جذورها في اعماق الماء، بعكس الأشجار الاخرى التي تختنق جذورها فيه.

يقول الدكتور محمد عبد الله النجم، المستشار في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ومعد مشروع تنمية وتكنولوجيا النخيل والتمور في العراق: النخلة في العراق، قديمة قدم تاريخه، فعمرها يزيد على خمسة آلاف سنة قبل الميلاد، إذ تشير المراجع الى انها زرعت في اريدو قبل الطوفان ، فتربة العراق، تربة مثالية لزراعة النخلة، وقد اهتم السومريون والبابليون والاشرويون بزراعتها، وشرعت مواد دستورية من اجل حمايتها، فقد جاء في شريعة حمورابي وفي نص المادة التاسعة والخمسين منها (تغريم من يقطع نخلة واحدة بنصف من من الفضة)، والمن عيار مازال مستخدماً بين الفلاحين في العراق ويساوي ٦٤ كغم، وتشير المصادر الى ن الاشوريين كانوا يقدمون اربعة شعارات دينية من بينها النخلة، وقد عثر على شعار النخلة منقوشاً على تاج وضع في اعلى محراب يعود الى عصر الملك (اسرحدون) في الفترة ٦٨٠- ٦٦٩ ق.م، وان التزين بالنخلة في بابل كان يظهر على هيئة مصباغ ذهبي أو فضي بشكل امرأة ينتشر السعف على اكتافها كالأجنحة.

وعلى ذكر ورودها في قوانين حمورابي ومدونات الحضارات العراقية والكتب الدينية، نذكر هنا ان النخلة ورد ذكرها في كتاب المسلمين المقدس القرآن الكريم (١٢١مرة وفي إحدى الايات سماها الكتاب (لينة))، ووردت في احاديث النبي محمد (ص) حيث قال (ليس من شجرة اكرم على الله من

قال داود سلمان الساعدي- الناطق الاعلامي باسم تجمع الفلاحين والمزارعين في العراق- في احد المهرجانات التي نظمتها وزارة الثقافة للتشجيع على زراعة النخيل واكثاره،

-نحن نقوم بمحاولات عديدة ودؤوبة لإنقاذ نخيل العراق، خصوصاً ما تبقى منه من افة الدوباس والحميزة التي تعد سرطان النخلة بعد ان تناقصت اعداده من ٣٥ مليون نخلة الى اقل من ١٥ مليون نخلة بسبب الامراض والافات الزراعية والحروب التي ادت الى قلع وحرق وهلاك اعداد كبيرة، وعدم الانتباه مبكراً لضرورة وقف هذا التردي، واستخدام المبيدات التي ترش بواسطة الطيران الزراعي- لم يعد لدينا نشاط في هذا المجال- وعدم ترك النخلة تواجه مفترسيها وحيدة، ويجب تذكير السياسيين في البلاد واعضاء البرلمان بدورهم الوطني تجاه هذا الرمز الخالد لبلاد الرافدين ، والا فما الذي يعنيه استيراد العراق التمور من الامارات والسعودية وايران وهي بلدان كانت تستورد التمور منه؟

وقال الساعدي ان قلة الانتاج ناتجة عن عدم الاهتمام الجاد بتنفيذ مشاريع مزارع امهات النخيل من اجل زيادة اعداد النخيل وصولاً الى ما كانت عليه، لتحقيق مردودات اقتصادية عالية، فضلاً عن الدور الكبير للنخيل في تلطيف المناخ العراقي، ويقول الساعدي، ان المسؤولية تتعدى الجهات الرسمية الى المواطنين والجمهور مباشرة الذين يقع على عاتقهم ايضاً عبء ومسؤولية الانتباه الى الشجرة الكريمة- النخلة.

تربة بساتين البصرة تتحول الى (سبخة) بسبب مياه المبازل القادمة من بغداد

كيف تستعيد النخلة امجادها؟ وهل سيعوض العراقيون الملايين من اشجار النخيل التي اعدمتها حروب النظام المباد؟

ما هي طرق اكثار النخيل؟ وما هي سبل حماية الموجود اليوم؟

شجرة ولدت تحتها مريم بنت عمران) و (اكرموا عمتكم النخلة) و (ان قامت الساعة وفي يد احدكم فسيلة فان استطاع ان لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها).

وحسب عالم النخيل الايطالي (دور دو بيكاي) فان موطن النخيل الأول هو الخليج العربي، والعراق اولاً، وكانت صورها وتماثيلها تزين جدران وقاعات المعابد ومداخل المدن البابلية وعروش ملوكها، إذ كان اله النخيل في المعتقدات العراقية القديمة يصور على هيئة امرأة ينتشر على اكتافها السعف كالأجنحة.

ومن اسماء النخلة، (الاشاء) التي تعني صغار النخيل، والعيدانة، والعيطة، التي تعني النخلة الطويلة وتسمى ايضاً (الجبارة) و(الباسقة)، ويطلق على النخلة حين تفصل عن امها (الحثيثة) أو (الودية) اما سعفها فيسمى (العسيب)، واول حمل النخلة هو (الطلع) فاذا انشق فهو (الضمك) أو (الا غريف) فاذا انعقد الطلع في مراحل النمو الأولى للثمرة، فيسمى (السياب) والواحدة (سيابة) والى هذه التسمية يعود لقب عائلة الشاعر العراقي الخالد بدر شاكر السياب، فاذا اشتد فهو (البسر) فاذا احمر فهو (الزهو) فاذا نضج فهو (الرطب).

ويذكر المهندس الزراعي جميل مشاري المياح، ان هناك ٤٠٠ صنف من اصناف النخيل من الاناث، تقابله ٦ أصناف من الذكور، اما وقت زراعة اشجار النخيل المتعارف عليه في العراق، فيعتمد على المنطقة ومناخها وتربتها وتوفر المياه فيها، وعموماً فالصيف هو الوقت الافضل.

(صاعود) النخيل- وهي مهنة مرهقة، الا ان ممارسيها الذين يستجيبون لمواصفاتها- يقولون انها مهنة ممتعة وانهم يصعدون النخلة في العام ثلاث مرات، مرة لتلقيها ومرة لتكريبها، وثالثة لجني الثمار، وفي الثالثة تتعدد مرات الصعود، فقد يصعدون للتبكير في التقاط الثمر الناضج، ثم يصعدون عند الطلب، واخيراً لقص (العزق) الناضج تماماً، وبعض الاصناف تقص عذوقها والثمرة فيها مازالت (خلالاً) كما يسميه البستانيون لحسابات تجارية واقتصادية وبخاصة حتى تكون هذه (الاعذاق) على موعد مع رحلة تجارية الى الاردن أو سوريا أو الخليج، حتى تصل الى تلك البلدان وهي في حالة اخرى صالحة للتسويق المباشر الى المستهلك، ويصل صاعود النخل الى قلب النخلة باستعمال نسيج ليفي، من الليف الذي تنتجه النخلة نفسها حول (كربها) ويسمى هذا النسيج (التبلية) وفي البصرة يسمى (الفروند)، ونسأل احد البستانيين عن كيفية احتساب عمر النخلة؟ فيقول: يمكنكم ذلك من حساب عدد الكرب في جذوعها، فكل ثلاث كربات فوق بعضها على الجذع تعني عاماً واحداً من عمر النخلة، وتقول الدكتورة ثريا البرزنجي- ان النخلة صيدلانية العراقيين ومصنع ادويتهم الطبيعي، فالثمرة تحتوي على ٧٠٪ من وزنها على المواد السكرية، وهي سكريات سريعة الامتصاص تذهب مباشرة الى الدم وخلايا الجسم لتمنحها الطاقة والحرارة، ومن ثم النشاط، ولا يحتاج امتصاصها الى عمليات هضمية معقدة، كما يحتوي التمر على الحديد والبوتاسيوم والكالسيوم والمغنسيوم والكبريت والنحاس والفسفور وفيتامينات -A B بكميات مجزية.

ويتحدث الفلاحون عن التسميات الشعبية للتمر منذ ان يعقد (الطلع) أو (الطليع) (وهنا يذكر بعضهم ملاحظة حول قص (الطليعة) من الذكر ونثر (طحينها) على الاناث بغرض (التلقيح) ويقول المهندس الزراعي شامل جاسم ان بعض البساتين التي لا يلقحها اصحابها بانفسهم تلقحها الريح التي تحمل (طحين الطلع الذكري)).

وهذه التسميات هي (الجبوك) ثم (الجمري) ثم (الخلال حتى يصفر) والرطب ثم التمر، ويذكرون احب الانواع للعراقيين ومنها (الخستاوي والخضراوي والحلاوي والتبرزل والبريم والاشرسي واسطه عمران والبرحي والمكتوم) وهناك الزهدي والدكل وهما من الأنواع التي لا يرغب فيها العراقيون ولكنها تدخل في صناعة الدبس وبعض الحلويات والخل.

وتحدثنا كتب التاريخ ان اكاسرة الفرس الذين كانوا يحتلون العراق حجروا على نوع محدد من التمور ومنعوا العامة من تناوله واختصوا به، وكانت زراعة أشجاره ورعايتها وجنيها بسرية تامة ويتولاها مزارعون متخصصون محددون يخضعون لرقابة صارمة وتفتيش يومي دقيق، ويقال انه صنف (المكتوم) بسبب حجمه وطعمه المتميزين عن بقية الانواع، وانه سمي المكتوم بسبب طبيعة إجراءات الكتمان التي فرضها الأكاسرة على عملية زراعة أشجاره ورعايتها وجنيها.

النخلة .. بطاقة هوية

صيدليــة العراقيــين و ادويتهــم الطبيعيــة

> هي أم العراقيين ورمزهم وابنة أرضهم العريقة واكرم شجرة عليهم ، عايشتهم رقيهم وتقدمهم وعصورهم الذهبية وانكساراتهم ، وظلت شامخة تواكبهم وتحثهم دوماً على النهوض من جديد من كل كبوة ، فتغنوا بها وقدسوها حتى انهم أسنوها وحرموا قطعها تحريماً باتاً وبخاصة الانثى الا لضرورات قاهرة ومحتمة ، فالضرورات تبيح المحظورات ، وبلغ من تكريمهم لها ، ان من اراد ان يكرم العراقيين عليه ان يكرم نخلتهم (شعارهم الوطني التاريخي) ولهذا تغنى بها رهين المحبسين المعري فقال- شربنا ماء دجلة خير ماء -وزرنا اشرف الشجر النخيلا- وجذور علاقة العراقيين بالنخلة قديمة ، قدم العراق ، بل يرى بعض الباحثين والمؤرخين واللغويين ، ان تسمية العراق ،

دردشــة فــي بستــان نخيــل

في عز حر البصرة وانقطاع التيار الكهربائي وهبوب رياح (الشرجي) المحملة برطوبة لا تطاق كان أحد اصحاب البساتين يفرش قاعة بالحصى وحصران الخوص المرشوشة بالماء ويوزع كراسي الجريد تحت ظلال النخيل مرحباً بضيوفه البغداديين المتشوقين لدردشة طويلة عن اوجاع العمة النخلة (تنت ديت بالم) كما تقول المسز بيل، كان الحديث قد اخذنا كل مأخذ عن شجون البساتين والنخيل في البصرة خاصة والعراق عامة. الا انه لمع في مواضيع التقطناها وادرجناها هنا لأن المواضيع الاخرى تحدثنا عنها في سطور سابقة، فقد سألنا عن سعر الفسيلة فقيل لنا انها تختلف باختلاف الصنف فالزهدي لا يزيد سعر فسيلته عن خمسة الاف دينار وعند التهريب يباع بخمسة دولارات (جملة)، اما سعر فسيلة البرحي حسب تسعيرة الدولة فهو ثلاثون الفاً، لكنها تزيد قيمتها في السوق السوداء على ١٢٠ الف دينار وعند التهريب يبلغ سعرها اكثر من ١٠٠ دولار.

-وما انتاجية النخلة؟

سألت، فاجاب مضيفي- حتى عام ٩٤-٩٥ كانت الانتاجية ضعيفة ولا تزيد على ٢٠ كيلو غراماً للنخلة الواحدة، لكن حين تحسنت الاسعار بعد عام ١٩٩٥ واصبح عائد النخلة مجزياً اقتصادياً تحفز الفلاح للاهتمام ببستان النخيل مما رفع انتاجية النخلة الى ٨٠ كيلو غراماً في بغداد والبصرة، وسجل متوسط الانتاجية في عموم البلاد ٦٢ كغم للنخلة الواحدة- وهذه الارقام ذاتها ذكرها الدكتور فرعون احمد حسين رئيس هيئة النخيل في حديث سابق- لكن هذه الانتاجية تدنت في السنوات الاخيرة، ففي عام ٢٠٠٠ مثلاً -بحسب الدكتور فرعون- كانت الانتاجية ٩٣٢ الف طن من التمور، اصبحت عام ٢٠٠٣ اقل من ٢٥٠ الف طن، وذلك بسبب الحرب التي دارت في شهري اذار ونيسان وهما الشهران اللذان يلقح فيهما النخل، وقد ازدادت الانتاجية قليلاً بعد ذلك، الا ان الوضع الامني، وضعف القدرة التسويقية وهموم النقل القيا بظلالهما الداكنة على الاسعار وبالتالي على الانتاجية، وهنا يحضرني تساؤل الدكتور جميل الدباغ من ديوان وزارة الزراعة عن السعر الذي يشتري به (الجلابة) (تجار التمور) التمر من الفلاحين واصحاب البساتين، فهو يرى انه سعر متدن جداً بينما يبيعونه في الاسواق باسعار مرتفعة وباضعاف ما يشترونه، وهذا غبن للفلاح، وهو على هذا يعد المشكلة في رقم (الانتاجية) في الحقيقة تسويقية، وليست مشكلة تتعلق بالنخلة وقدرتها.

وقال احد المهتمين بشؤون النخيل والبساتين في تلك الجلسة:

- ان الاهمال واجه النخلة منذ الخمسينيات وذلك أن العوائد لم تكن مجزية والآن وصل سعر الكيلو غرام الواحد للتمر الى حدود (٤٠٠) دينار في البصرة، وهو اعلى سعر يصل اليه -اخبرته ان سعر الكيلو في اشهر تموز واب في بغداد كان ١٥٠٠ دينار وانه انخفض بالكاد الى ١٠٠٠ دينار في ايلول شهر الجني الرسمي لمنتوج التمر -ومع ذلك لا يجد الفلاح من المغريات ما يدفعه الى مزيد من الاهتمام ببستانه ورعاية النخل، بسبب فشله في التسويق وعدم قدرته على ايصال منتوجه الى الاسواق، والسعر الزهيد الذي يدفعه (الجلابة)، وكم نتمنى ان تسعى الدولة في ضمان سعر حجز للفلاح لتشجعه على الانتاج، باستلامها منتوجه كما تفعل مع الحبوب لتخليصه من المضاربات.

- وبعد صمت قليل انطلقت عدة شكاوى مكبوتة عن قلة العاملين في البساتين مثل (المواعيد) واقترح احدهم بعض المقترحات لتشجيع العمل في هذه المهنة التي يعزف عنها الشباب وتكاد تنقرض، وتنص هذه المقترحات على انشاء صندوق لمساعدة صاعود النخل وبخاصة عند مرضه، ذلك ان اجرة الصاعود اليومية لا تزيد في احسن الاحوال عن خمسة الاف دينار، ومع ارتفاع الاسعار وانهيار القوة الشرائية للنقود، يصبح هذا المبلغ غير ذي بال، وبمقارنته باجرة عامل البلدية الذي لا يبذل جهداً موازياً، ينشأ الدافع القوي للعزوف عن العمل بهذه المهنة.

وانطلقت شكوى اخرى من صاحب احد البساتين حول عدد من الامراض الجديدة التي لم تكن معروفة من قبل وتكهن كل واحد من الجالسين في اسبابها، ومنها ظاهرة انحناء رؤوس النخيل، التي كان الدكتور فرعون قد تحدث عنها وذكر ان سببها هو (فطر، تدخله حشرة حفار السارق وطالما كان هذا الفطر مميتاً، حيث يصل الى جمارة النخلة (قلبها) حيث تنتج الاوراق (السعف) والثمار، بقتلها فتلوي النخلة راسها معلنة احتضارها، وهنا ينبغي ان تتواجد مكافحات للحشرة والفطر، وهذه الظاهرة انتبهنا لها عام ١٩٩٢ حيث برزت بشكل وبائي، لكنها الان توجد على شكل اصابات فردية ولا تستوجب حملات مكافحة كبيرة).

وذكر اخر معلومة عن علاقة ثمرة جوز الهند بموت عدد من اشجار النخيل، وقد علق المهندس الزراعي سلوان محمد هاشم في دائرة زراعة محافظة البصرة قائلاً- ان قشرة ثمرة جوز الهند (المريضة) يمكنها ان تنقل مرضاً قاتلاً لاشجار جوز الهند، وقد حصل هذا فعلاً في اميركا، وان لها نفس التأثير على النخلة، اذ تسبب لها موتاً سريعاً ويسمى هذا المرض (الاضطرار المميت).

Leathal Yellow

ويا حبذا لو حجرت هذه الثمرة في العراق.

وما زالت هناك زوايا والتماعات ودروب اخرى لم نحرثها في (دردشتنا البصرية النخيلية) هذه وعذرنا اننا هنا نعد ملفاً صحفياً، ونترك التفاصيل الدقيقة العميقة، لأصحاب الدراسات الاكاديمية، وانما نحن هنا نقرع النواقيس وحسب.